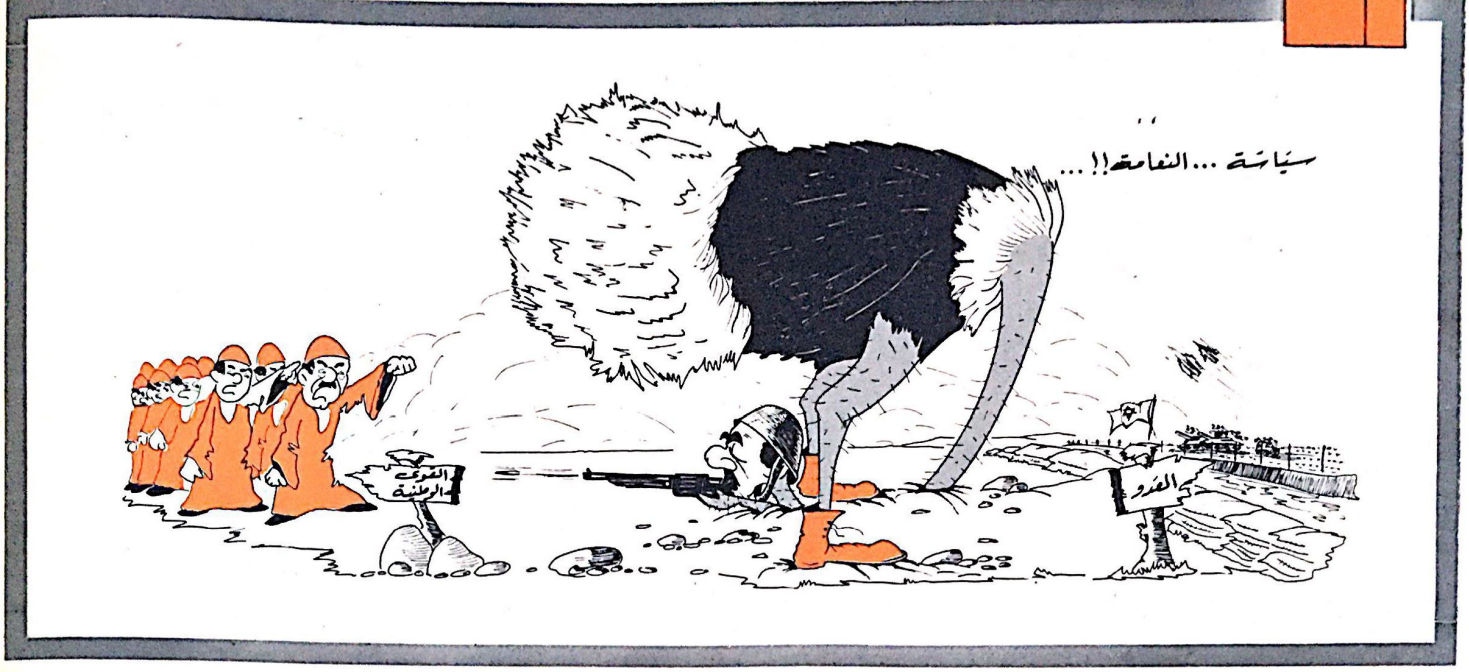

لنـدن بـرسـم البـيـع

"LONDON FOR SALE"

« لندن برسم البيع » !! هذا ليس عنوانا لاحد افلام موجة العودة الى الرومانسية ، التي اخذت تجتاح عالم السينما الانكليزية منذ فيلم « اوليفر تويست » .. ولا هو عنوان واحدة من المسرحيات الجريئة التي تحتل مسارح عاصمة الضباب هذه الايام .. من « اوه كلكوتا » التي ما زالت تعرض وتعرض الى ما شاء الله .. الى « المسيح سوبر ستار » التي وصلت حديثا لتحتل احد المسارح الشهيرة بالبرامج الموسيقية والغنائية والراقصة .

ولا هو متعلق بالاوكازيونات التي تحتل واجهات المحلات التجارية ببيروت في موسم الاعياد .. فمثل هذه الظاهرة لا تتعرض لها محلات لندن الا بعد مرور الاعياد ..

« لندن برسم البيع » حقيقة اقتصادية وسياسية ملموسة تتعلق بتقلص الامبراطورية البريطانية وعودتها تحت سياط حركة التحرر الوطني في العالم الى التقوقع داخل حدود الجزر الانكليزية ، والى اللهاث فوق امواج المانش للتعلق بأذيال اوروبا كشريك يحمل « منية » قبوله في السوق الاوروبية المشتركة ، بعد ان كان هو الذي يحط مرساة الاستعمار حيث يشاء في بلاد العالم الواسعة .

وتتعلق ايضا بالاضرابات العمالية المتصاعدة من حيث العدد والسعة ، حتى انها غدت ظاهرة يومية ـ واصبح طبيعيا ان يعترضك الانكليزي المهذب عند اتفاقك معه على موعد ، قائلا : اذا لم يضرب عمال السكك او الاندرغراوند او الباصات ـ . ويروي بعض الاصدقاء انهم اضطروا للانحباس داخل منازلهم لتوافق اضراب عمال السكك وعمال الباصات في وقت واحد ، وذلك بعد فترة قصيرة من اضراب عمال المناجم الشهير ..

« لندن برسم البيع » !! شعار مؤلف من مئات وحتى آلاف اعلانات العرض للبيع المعلقة على البيوت والعقارات في الشوارع ، حتى اخذت تطغى ، باعدادها وطرق التفنن بعرضها ، على عالم الارمات التجارية المضادة التي تشكل واحدا من ملامح العاصمة البريطانية .

ما وراء هذه الظاهرة ؟

لقد ادى تقلص الاستعمار البريطاني ، وفقدان الراسمالية الانكليزية لاسواق النهب الخارجي ، الى ازمة خانقة تتمسك برقبة النظام الراسمالي في بريطانيا ، من خلال عجز القدرة الشرائية لمجموع الشعب البريطاني عن استهلاك ذلك الانتاج الضخم الذي كانت بريطانيا تظهر به اسواق مستعمراتها .. وهذا ادى بدوره الى عجز الراسمالية الانكليزية عن تصريف بضائعها والحصول على ما كانت تحصل عليه من ارباح ... فكان « الحل » الراسمالي الذي وجدته هو الهجوم على اجور العمال ، فسعت عبر دولتها الى اصدار قرارات تجميد تلك الاجور وزيادة الاسعار للحصول على مزيد من فائض القيمة ، املا في التعويض عن توقف الارباح التي كان يؤمنها النهب الاستعماري .. لكن هذا « الحل » زاد من حدة الازمة ، فقد انخفضت مجددا قدرة الشعب البريطاني الشرائية ، وانخفضت ايضا قدرة البضاعة الراسمالية البريطانية على المزاحمة في الاسواق الخارجية .

هذا التصاعد الجديد في الازمة ، واجهته الرأسمالية بتخفيض قيمة الجنيه من اجل ضبط ميزان المدفوعات ، فهي في حاجة لاستيراد كميات كبيرة من المواد ، وما لم تخفض سعر بضاعتها في الخارج لن تكون قادرة على تعويض الخلل في المعادلة بين تياري التصدير والاستيراد .

لكن تخفيض الجنيه بمساعدته على « حل » الطرف الخارجي من الازمة ، قد ادى الى تعقيد طرفها الداخلي ، فقد خفضت من جديد القيمة الشرائية الفعلية للاجور ، وزاد الضغط على مستوى معيشة العمال ، فتصاعدت احتجاجاتهم واضراباتهم ، وبدا الوضع الاقتصادي المهزوز والمهدد بالمزيد من الازمات ينعكس اكثر فاكثر على وضع الجنيه « العائم » على امواج هذه الازمات .

وحتى يحافظ بعض اصحاب الثروات النقدية على قيمة ثرواتهم في هذا الجو المتازم اخذوا يستبدلون اوراقهم المالية بحاجات ملموسة .. فيشترون البيوت والعقارات والاحجار الكريمة والمعادن الثمينة واللوحات والتحف ، مما زاد في طينة الجنيه بلة .. يقول احد تجار اللوحات والتحف : لقد اصيب البريطانيون بنوع من الجنون الممكن ان يسمى جنون اللوحات والذي لم تعرف له بريطانيا مثيلا في تاريخها .

ومن نماذج هذا الجو ان اعلى بناء في بريطانيا وهو عبارة عن بناية في وسط لندن مؤلفة من ٣٨ طابقا فوق الارض ، قد انجز بناؤها منذ عام ١٩٦٦ وما تزال فارغة تماما ، اذ يرى اصحابها ان القيمة الفعلية للايجارات التي قد ينالونها اليوم هي اقل بكثير من القيمة لايجارات الغد وهكذا ..

والافبال الجنوني على شراء العقارات قد رفع اثمان العقارات بنفس المستوى من الجنون .. ولكي نعطي مثلا على ذلك نورد ما حدث مع احدى السفارات العربية .. فقد اشترت تلك السفارة دارا بمبلغ ١٥٠ الف جنيه بريطاني .. واليوم بعد مرور عام ونصف على الشراء يعرض عليها مبلغ ٥٠٠ الف جنيه اي ان السعر زاد بمعدل ثلاثة اضعاف واكثر في هذه المدة القصيرة .

هذا الارتفاع الخيالي في الاسعار ، دفع الكثيرين من اصحاب العقارات الى عرض املاكهم للبيع ، ومن هنا ولدت كل اعلانات البيع التي تحتل اكثر الابنية في العاصمة البريطانية ، وتشكل مع بعضها اعلانا واحدا يمكن قراءته بشكل ان « لندن برسم البيع » ■■

لندن ـ من « نزار سمعان »

ارقام ذات دلالات

في الطبعة السادسة من اطلس العالم التي صدرت حديثا ، وردت احصائية بالغة الاهمية من حيث دلالاتها الاقتصادية والاجتماعية والسياسية ، ففي هذه الاحصائية عرض للمعدل السنوي لنسبة زيادة السكان ، والزيادة المئوية للناتج القومي بالنسبة للفرد ، في جميع بلدان العالم .. ومن تلك الاحصائية نقتطف هذه المقارنة :

البلد	نسبة زيادة السكان	زيادة الناتج القومي بالنسبة للفرد
الاتحاد السوفياتي	١،٢	٥،٨
الولايات المتحدة	١،٢	٢،٢
بريطانيا	٠،٦	٢،٢
المانيا الغربية	١	٢،٥
المانيا الديمقراطية	٠	٤،٢
فيتنام الديمقراطية	٢،٨	٢،٢
فيتنام الجنوبية	٢،٦	١
مصر	٢،٥	١،٧
السودان	٢،٩	١
كوريا الديمقراطية	٢،٧	٥،١